الفضاء القرويّ بين الواقع وتداعي الذاكرة في رواية "الأفيون والعصا" لـ: مولود معمري

Rural space between Reality and the Association of Memory in the Novel Opium and the Stick by Mouloud Mammeri

سناء بوختاش *

Sana boukhtache

مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري.

University of Mohamed Khider - Biskra (Algeria)

sana.boukhtache@univ-biskra.dz

تاريخ الإرسال: 2025/03/15	تاريخ القبول: 2025/07/05	تاريخ النشر: 2025/09/02

مُلخّص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الفضاء القروي في رواية "الأفيون والعصا" لمولود معمري، وتحليل كيفية تمثيله بين الواقع وتداعي الذاكرة، يتناول البحث مشكلة التجاذب بين الحياة اليومية للمجتمع الريفي الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي وتأثير الصراع الثوري على هذا الفضاء، وكيفية انعكاس ذلك في الذاكرة الفردية والجماعية للشخصيات.

يتوصل البحث إلى أن الرواية تجسد تداخلًا بين الواقع القروي الملموس والذكريات المشوشة التي تشكل وعي الشخصيات وأفعالها، مما يعزز الرؤية الأسطورية للنضال ضد الاحتلال، فالفضاء القروي يصبح بذلك رمزًا للمقاومة والتحول الثوري، متجاوزًا دوره كمجرد خلفية للأحداث.

الكلمات المفتاح: فضاء، قرية، واقع، تداعي الذاكرة، أفيون، عصا.

Abstract:

This research aims to explore the representation of the rural space in the novel The Opium and the Stick by Mouloud Mammeri, focusing on how it oscillates between reality and the fragmentation of memory. The study addresses the issue of how the Algerian rural community is portrayed during the French colonial period and how the revolutionary struggle reshapes this space. Using a textual analysis methodology, the research investigates the impact of memory on the characters' perception of their environment.

The main findings highlight that the rural space serves as a symbolic ground for resistance and transformation, reflecting both the harsh realities of colonial oppression

* سناء بوختاش sana.boukhtache@univ-biskra.dz

and the collective memory of the fight for freedom. This duality gives the rural setting a deeper, more metaphorical meaning within the novel's broader narrative framework.
Keywords: Space, village, reality, fragmentation of memory, opium, stick.



المقدمة:

أصبحت الرواية من أكثر الأعمال الأدبية انتشارًا، مما يدل على مكانتها وقيمتها الكبيرة في المشهد الإبداعي، فهي تساهم في نشر الوعي داخل المجتمع بمختلف جوانبه الفكرية، والثقافية، والاجتماعية، كما تعزز الفهم للعالم الذي نتحدث عنه اليوم بلغة مميزة، تجمع بين الخيال والواقع، ولا يتحقق هذا الهدف إلا من خلال تفاعل الرواية مع المجتمع ودخولها في تفاصيل حياة الأفراد بشكل خاص، مما يمكّنها من بناء عوالمها بأسلوب سلس وفريد يعكس تعقيدات الحياة المتزايدة يوماً بعد يوم.

ونظرًا للأهمية المتزايدة التي يكتسبها الفضاء في الدراسات والأبحاث الأدبية الحديثة والمعاصرة، والتي تركز على استكشاف ما هو مضمر، أصبحت الرواية العربية بيئة خصبة لمناقشة مثل هذه المواضيع، ونحن في هذه الدراسة سنقف عند فضاء القرية الذي يُنظر إليه عادة كرمز للهدوء والاستقرار، على عكس المدينة التي ترمز غالبًا إلى التمرد والفساد والانهيار، إلا أنه عند قراءة روايات الكاتب المبدع مولود معمري، نجد أنه قدّم فضاء القرية بدلالات رمزية جديدة تختلف عن التصورات التقليدية التي نعرفها في العديد من الروايات، مما يشكل مفارقة كبيرة تعكس قدرته على الإبداع والتجديد.

جاءت تجربة مولود معمري الإبداعية استعارة رمزية تجسد انهيار القرية، والقهر والاستبداد الذي يسود البلاد، والمعاناة التي يتعرض لها الأفراد، إلى جانب هيمنة العنف وانحدار السياسة، هذه التجربة تسجل التحولات القاتلة التي شهدتها القرية، وتعكس واقع الضواحي البائسة والعشوائيات التي نمت على أطرافها، في هذا السياق، يتحول السرد ليصبح لاهثًا، مليئًا بالقسوة، وأحيانًا شديد التشاؤم، بينما يغمره الحنين ويكشف عن حقائق مؤلمة وتنويرية في الوقت ذاته، هذه الخصائص تتجلى بوضوح في أعمال معمري، ومنها رواية "الأفيون والعصا" التي ندرسها هنا.

إذن، تطرح الدراسة إشكالية أساسية تتعلق بكيفية توظيف معمري للفضاء القروي كمرآة تعكس التناقضات والتحديات التي واجهها المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال. فما هو الدور الذي يلعبه الفضاء القروي في تشكيل الأحداث والشخصيات؟ وكيف يتجسد تداخل الواقع مع الذاكرة في وصف الكاتب للحياة اليومية في الريف؟ هذه الأسئلة تُشكل نواة البحث وتسعى الدراسة للإجابة عليها من خلال تحليل دقيق للنص الروائي.

رواية "الأفيون والعصا" تعد واحدة من الروايات التي أثارت ضجة كبيرة في الأدب العربي، حيث كشفت عما كان مسكوتًا عنه، مستخدمة تقنيات سردية حديثة استطاعت أن تستنطق النص وتكشف عن العلاقة بين النص

الروائي وفضاء الواقع، هذه القدرة على المزج بين الخيال والواقع، وتسليط الضوء على قضايا محورية، هي ما دفعنا إلى اختيار هذه الرواية لدراستها وتحليل أبعادها المختلفة.

أولا: مصطلح الفضاء

قبل الخوض في دراسة الفضاء القروي في رواية "الأفيون والعصا"، كان من الضروري الإشارة إلى الفضاء باعتباره مصطلح من المصطلحات المهمة في الساحة الأدبية، وخاصة في البنية السردية، فقد استحوذ هذا المصطلح على اهتمام العديد من الباحثين، نظرًا لتباين تفسيره وفهمه، ولإدراك هذا التباين، يجب علينا أولًا محاولة ضبط مصطلح الفضاء بدقة، كما نسعى لإزالة أي تداخل بينه وبين مصطلحات أخرى مثل المكان والحيّز، التي قد يعتبرها البعض مترادفة مع مفهوم الفضاء، رغم اختلافها الواضح في الاستخدام الأدبي.

1/ الفضاء في اللغة:

جاء في "معجم لسان العرب" الفضاء يعني «المكان الواسع من الأرض والفعل فضا يفضو فهو فاض، وفضا المكان وأفضى إذا اتّسع، وأفضى فلان إلى فلان إذا وصل إليه. وأصله أن صار في فرجته وفضائه وحيزه والفضاء الخالي الواسع من الأرض»[1]، هذا يعني أنّ لفظة الفضاء تحيل إلى ما اتّسع من الأرض، وهو المعنى نفسه في "المعجم الوسيط"[2]، وفي "معجم الرّائد"[3] اللّذان أوردا معنى الفضاء هو المكان الخالي المتّسع، أو هو المساحات الواسعة وغير المحدّودة.

2/ الفضاء في الاصطلاح:

أما بالنسبة للفضاء "Espace" في العمل الروائي، مثّل عنصرًا أساسيًا لا يمكن الاستغناء عنه، فلا وجود لرواية دون فضاء، إذ يعد إحدى زوايا السرد التي تشكل دعامة للعمل الروائي، تحدث الفيلسوف "غاستون باشلار" عن الفضاء من خلال دراسته للقيم الرمزية الموجودة في الطبيعة، والتي تتيح لنا فهم خيال كل من المبدع والقارئ[4]. أما "جورج بولي" و"جلير دوران" فقد ركزا في دراستهما على الفضاء الروائي ذاته، إذ أوليا اهتمامًا لأبعاده وتشكيلاته ومظاهره[5].

في حين ترى "سيزا قاسم" أن الفضاء هو «مكان خيالي له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة»[6]، وربطت الفضاء بالخيال، معتبرة أن الوصف جزء لا يتجزأ من الفضاء، خصوصًا فيما يتعلق بالأحداث الخارقة التي تتميز بخصائصها وقواعدها الخاصة. من جانبها، عرّف "حسن بحراوي" الفضاء بقوله: «الفضاء في الرواية ليس سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن، والوسط، والديكور الذي تجري فيه الأحداث، بالإضافة إلى الشخصيات التي تقتضيها تلك الأحداث»[7]، أي أن الفضاء يتألف من مجموع الأمكنة والشخصيات والأحداث، والعلاقات فيما بينها.

بناءً على ذلك، يعد الفضاء الروائي من العناصر السردية التي لا يمكن إهمالها عند دراسة أي عمل روائي، لأنه يرتبط بعناصر سردية أخرى مثل الشخصية، والزمن، والأحداث، بل ويتداخل أيضًا مع عناصر حديثة الدراسة مثل: فضاء العنوان، فضاء التناص، وفضاء الرمز، وغيرها من المقاربات السردية الحديثة.

هناك مصطلحان آخران يتداخلان مع الفضاء، وهما المكان والحيّز، لكن الفضاء يعد المصطلح الأكثر شيوعًا في الدراسات الأدبية والنقدية لأنه أكثر شمولية واتساعًا، المكان غالبًا ما يتحدد بأبعاد مادية ثابتة، بينما الحيز يظهر في حدود

معينة، حيث يرتبط بوجود ملموس، أما الفضاء، فيتجاوز هذه الحدود، إذ يمتد ليشمل المسرح الروائي بأكمله، سواء من خلال العلاقات بين الشخصيات، أو من خلال الأبعاد المادية والخيالية التي تساهم في تشكيل العالم الروائي، هذا يعني أنّ الفضاء يعدّ من العناصر الجوهريّة التي تساهم في بناء النّص القصصي إذ بدونه تفقد العناصر الأخرى نشاطها وحيويّتها.

ثانيا: الفضاء القروي بين الواقع وتدعي الذاكرة في رواية "الأفيون والعصا"

لم تكن الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي بمنأى عن قضايا الوطن المضطربة، بل مثلت تجربة إبداعية فريدة لها طابعها الخاص، انطلق روادها من معاناة الشعب الجزائري وظروفه الاجتماعية المزرية في ظل الاحتلال الفرنسي، فجاءت نصوصهم تعبيرًا عن هذه المعاناة وتجاربهم الحياتية المرتبطة بالمكان، كان هاجسهم الأكبر هو إثبات الانتماء والمحافظة على الهوية الوطنية، مما جعل موضوعات رواياتهم انعكاسًا لتجاربهم الذاتية وتعلقهم العميق بالوطن.

تعد رواية "الأفيون والعصا" لمولود معمري واحدة من أهم الأعمال الأدبية التي كتبت باللغة الفرنسية تناولت مرحلة حساسة من تاريخ الجزائر، وهي فترة حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي، تمثل الرواية فضاءً روائيًا متكاملاً يعكس التجاذبات والصراعات التي عاشها الشعب الجزائري في ظل ظروف الاحتلال، حيث تشكل القرية الجزائرية خلفية رئيسية للأحداث وتتحول إلى رمز للصمود والتحدي، انطلاقًا من هذا المنظور، تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على كيفية تصوير الفضاء القروي بين الواقع وتداعي الذاكرة في هذا العمل الأدبي.

يعتبر الفضاء القروي في الرواية نقطة التقاء بين الحياة الواقعية التي يعيشها الجزائريون تحت وطأة الاستعمار، وبين التداعيات النفسية والذهنية التي تعيشها الشخصيات في ظل تلك الظروف، يظهر هذا الفضاء ليس فقط كمكان جغرافي، بل كمساحة رمزية تمثل أحلام التحرر والكرامة، وكذلك معاناة الخضوع للقهر والقمع، فالقرية الجزائرية في "الأفيون والعصا" ليست مجرد بيئة تدور فيها الأحداث، بل هي جزء لا يتجزأ من الحكاية، حيث تشكل الشخصيات الفاعلة علاقاتها مع المكان على أساس الذاكرة الجماعية والفردية التي تستحضر الماضي وتواجه الحاضر.

إحدى الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة هي الكشف عن كيفية ارتباط الفضاء القروي بالذاكرة، وكيف تؤثر تلك الذاكرة على تصرفات الشخصيات ورؤيتها للأحداث المحيطة بها، فالرواية تزخر بمشاهد عديدة تُظهر تداخل الذكريات مع الحياة اليومية، حيث تتحول الذاكرة إلى أداة لتحدي الاحتلال أو لتأكيد الهزيمة، هذا التداعي المستمر للذاكرة يعكس عمق التأثير الذي تتركه التجارب الشخصية والجماعية على الأفراد، ويكشف عن الطريقة التي يبني بها معمري شخصياته في ظل تلك البيئة المعقدة.

1/ فضاء القرية بين الانفتاح والانغلاق:

جاءت دراستنا حول الفضاء القروي وتجلّياته في رواية "الأفيون والعصا"، مرتكزة على كيفية توضع فضاء القرية في المتن الروائي من خلال الكشف عن الطريقة التي وصف بها مولود معمري فضاء القرية، حيث صنّفه أحيانًا كفضاء مغلق، يتحدد بأبعاد معروفة وأحياز ملموسة، وأحيانًا أخرى كفضاء مفتوح يتجاوز الحدود المقيّدة نحو التحرر، ينطلق هذا التحليل من أهم الجدليات الفضائية التي تتمحور حول جدلية أساسية وهي جدلية الفضاء المفتوح والمغلق.

الرواية تعرض الفضاء بطرق متعدّدة ومتنوّعة، متجاوزة السرد التقليدي في مجرد عرض الأفضية، لتقدم معالجة فنية خارقة تعكس تفاعلًا أعمق مع فكرة الانفتاح والانغلاق، هذه الفكرة تعتبر مسألة نسبية، لأنها تعتمد على زاوية

النظر، فقد يُرى الفضاء ذاته مغلقًا من قبل شخص بينما يراه آخر مفتوحًا، ومثال على ذلك ما ورد في القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ سورة يوسف، الأية [33]، مما يدل على أن تعريف الانفتاح والانغلاق يبقى نسبيًا، فقد يكون الانغلاق هو الانفتاح بمعناه السلبي أو العكس، بحسب المنظور الخاص لكل شخص.

وهذا ما سنشهده في الرواية التي بين أيدينا، حيث تتجلى انعكاسات الفضاء القروي في سياق الانفتاح والانغلاق، لكن ما يُجمع عليه في جميع هذه الانعكاسات هو أن «المنزل ليس هو الميدان، والزّنزانة ليست هي الغرفة، لأن الزنزانة ليست مفتوحة دائمًا على العالم الخارجي، بينما الغرفة مفتوحة دائمًا على المنزل، والمنزل بدوره مفتوح على الشارع»[8]. من هنا، نجد أن الفضاء المكاني يفرض سيطرته على الإنسان، سواء كان من خلال الانفتاح أو الانغلاق، فالإنسان، منذ أن يكون «نطفة في رحم الأم، يتخذ مكانًا يمارس فيه تكوينه البيولوجي والحياتي، حتى إذا جاء وقت المخاض وخرج الجنين [...] كان المهد هو المكان الذي تنفتح فيه مداركه تدريجيًا [...] في أحيزة مكانية لا حصر لها»[9]. وقد يكون القبر، في النهاية، هو المحطة الأخيرة لكل تلك الأحيزة المكانية، هذا يعني أن الإنسان يعيش في فضاء مكاني منذ أن كان جنينًا في رحم أمه حتى لحظة ولادته، حيث يخرج إلى فضاء خارجي يتمثل في المنزل، والوطن، والفضاءات الأخرى التي يجد فيها احتياجاته. وفي النهاية، يعود إلى الفضاء الأخير وهو القبر، حيث تنتهي مسيرة الحياة، من هنا يمكننا القول إن المكان يشكل البؤرة والمركز في حياة الإنسان، وهو الأمر ذاته بالنسبة للرواية.

ورواية "الأفيون والعصا" نموذج بارز يصور الواقع المعيش خلال ثورة التحرير الجزائرية، وتحمل في طياتها دفاعًا عن الانتماء والهوية الوطنية، وتؤكد أن الجزائر لن تكون فرنسية، حيث جاءت كرسالة موجّهة لفرنسا بلغتها لتوضيح أن الجزائر حرة أبية، كتب معمري هذه الرواية عام 1955، مباشرة بعد اندلاع الثورة، وفيها يسرد قصة قرية "ثالا" الواقعة في منطقة القبائل التي عانت مثل غيرها من القرى والمدن الجزائرية من فظائع الاستعمار الفرنسي.

ينقسم المكان في الرواية إلى فضائين: فضاء المدينة وفضاء القرية، فالبطل "بشير"، وهو ذو أصول ريفية، عندما عاد إلى الجزائر قرر الاستقرار في العاصمة، لكنه سرعان ما أدرك أن بقاءه في المدينة يمثّل انفصالًا عن ذاته وعن الأمل والطموح، فالمدينة هنا جاءت كرمز للانغلاق النفسي والاجتماعي والسياسي، بالرغم من أنها يُفترض أن تكون فضاءً مفتوحًا للتحرر، إلا أنها بالنسبة لبشير تمثل مكانًا غريبًا ومعاديًا للذات، خصوصًا في ظل الهيمنة الاستعمارية، فبشير، حين عاد من فرنسا واستقر في العاصمة، شعر بالاختناق والاغتراب، وبدت المدينة كأنها مقطوعة الصلة بجذوره الريفية، "لم يكن يشعر أنه في بيته، كان يتساءل عما يفعله هناك، في هذه المدينة، في هذا العالم الذي لا يجد فيه شيئًا منه"[10]، وقال في موضع آخر "الجدران كانت لها آذان. كل كلمة قد تكون فخًا. [...] في الجزائر العاصمة، كان لا بد من تعلم الصمت."[11]، فالمدينة مكان مراقب، خاضع للسلطة الاستعمارية، مليء بالجواسيس والمخبرين، ويصعب فيه الانخراط في الكفاح الحقيقي، مما يجعلها فضاءً مغلقًا خانقًا.

فقرر العودة إلى قريته "ثالا"، مسقط رأسه، والانضمام إلى صفوف المناضلين، كان يُعيد ذكرياته "رؤية ثالا، الساحة، النافورة، التلة الجرداء فوق القرية. [...] قال في نفسه إنه هناك، لن يحتاج وقتًا طويلًا ليجد الحياة من جديد."[12]، هذا الانتماء العميق يتجلى في ارتباط بشير بالمكان والذاكرة التاريخية، حيث يرمز فضاء القرية إلى الهوية

والانتماء، فكان بشير يعبّر عن مشاعره القوية تجاه قريته، رافض التشويه والدمار الذي لحق بها بفعل الاستعمار، هنا قرية "ثالا" تعود لتفتح لبشير أفقًا جديدًا للحياة والمعنى، مما يجعل منها فضاءً مفتوحًا، كما أبرز هذا المقطع ارتباط بشير العميق بالأرض، حيث تتحول القرية إلى رمز للكرامة والمعنى، أي إلى فضاء منفتح على القيم والمقاومة.

2/ فضاء القرية والمقاومة:

يتضح من خلال الرواية أن مولود معمري كتب بحسّ عميق وبإحساس المقاومة، حيث تناول مظاهر المقاومة الشعبية وأدوات الاستعمار الفرنسي التي اعتمدت الترغيب والترهيب في إدارة شؤون الشعب الجزائري، وخصوصًا أهل القرى، وكانت فرنسا في البداية تروج لفكرة أن الجزائر فرنسية، مما أثار غضب الشعب الجزائري، ولم تتوقف عند ذلك، بل حاولت طمس الهوية الجزائرية من خلال فرض الثقافة الفرنسية، وهو ما واجهه الجزائريون بشدة، فاندلعت الثورة التحريرية التي توجت بالانتصار واستعادة السيادة الوطنية.

من خلال قول مولود معمري في متن الرواية: "جرّب معنا الفرنسيون في البدء التضليل، ولإقناعنا استعملوا كل مفاتنهم، وفي كتبهم علّمونا جان دارك، نابليون لكنهم لم يتمكنوا من جذب أنظارنا الهاربة، لا يرون إلا طريق الكراهية، واعتقدوا بأننا جاحدون... ولم يبق لهم إلا استعمال الطريقة الأخرى، فمنذ ثلاث سنوات ونحن نسجن، نضرب، نعذّب، نقتل بمختلف الطرق ولم يبق لهم إلا الأفيون والعصا"[13]، تتضح دلالة العنوان بجلاء وتتماشى مع المكان والزمان في هذا المقطع.

فالأفيون يرمز إلى محاولات تخدير وعي الشعب الجزائري عن قضيته الوطنية، كونه يستخدم للتخدير بسبب خصائصه المخدّرة المشتقة من المورفين، فرنسا في البداية غزت الجزائر ثقافيًا عبر سياسة الإدماج، وإدخال اللغة والثقافة الفرنسية بهدف طمس الهوية الجزائرية وتحويل الجزائر إلى جزء فرنسي، لكن عندما فشلت في تحقيق ذلك وواجهت مقاومة عنيفة من الجزائريين، لجأت إلى العصا، التي ترمز إلى القمع والعنف الذي مارسته بوحشية عبر الضرب والسجن والتعذيب والقتل.

بهذا المعنى، يضعنا مولود معمري بين موقفين متناقضين: موقف الجزائر الصامدة التي رفضت الخضوع، وموقف فرنسا التي تجسد العدوان والاستعمار، بين هذين الموقفين يقف الشعب الجزائري وأهل قرية "ثالا" الرافضون للخضوع والاستسلام رغم ما تعرضوا له من تهديدات مستمرة بالموت، هكذا تتشكل حكاية قرية "ثالا"، التي غلفها صمت يعبر عن الخوف والقلق الذي يخيّم على سكانها، وهم يعيشون في حالة من التوتر الدائم نتيجة القمع والتهديد[14]، وهكذا يصبح العنوان رمزًا للمقاومة.

يحمل المكان في الرواية بعدًا رمزيًا عميقًا، إذ يشكل فضاء قرية "ثالا" بمنطقة القبائل مسرحًا رئيسيًا للأحداث، وهو المكان الذي تعكس فيه الرواية مسيرة الشخصية المحورية "بشير لزرق أحمد" الذي عاش فترة من حياته في المهجر لدراسة الطب، بعيدًا عن الوطن، لكن اندلاع الثورة التحريرية الكبرى دفعه للعودة إلى الجزائر. في البداية، قرر الاستقرار في العاصمة، محاولًا البقاء بعيدًا عن أهوال الحرب والموت والدمار[15]، إلا أن وعيه بالأزمة التي يعيشها أبناء وطنه تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، إلى جانب دعوة مجاهدي جيش التحرير الوطني للانضمام إليهم، جعله يغير قراره.

بشير يمثل هنا الوعي الوطني، حين قرر العودة إلى مسقط رأسه في قرية "ثالا أوزرو" والانخراط في صفوف الثورة، فهو أصبح شخصية نموذجية للمثقف الملتزم، الذي يدرك مسؤوليته تجاه وطنه، كما يعد رمزًا للإنسان المرهف الحس، المتمسك بهويته الوطنية، والصديق والأخ لكل المجاهدين وعامة الناس، وقف بصلابة في وجه الظروف القاسية، وعمل بكل جهد من أجل مستقبل الوطن، مجسدًا الوطنية في أبهى صورها عبر مسيرة كفاحه مع أبناء قريته ورفاقه في جيش التحرير.

وقبل أن نخوض في قراءة وتفكيك شفرات فضاء القرية، يلفت انتباهنا اسمها "ثالا"، وهي كلمة أمازيغية تعني "العين" أو "مصدر الماء"، لكن الغريب أن هذه القرية، التي تمتد على أطراف أحد جبال المنطقة، لا تحتوي على مصدر ماء فعلي، تسمية القرية بهذا الاسم ليست نابعة من واقع جغرافي حالي، بل تعود إلى أجدادها الذين كانوا يسكنون قرية أخرى تدعى "ثالا أوزرو"، حيث كان الماء غزيرًا، والقمح وفيرًا، والمراعي خضراء، والسّهول تجري بالأنهار، لكن بسبب السّياسة الاستعمارية، اضطروا إلى النزوح من تلك الأرض الخيّرة إلى هذه القرية الجديدة، التي عمّروها وأطلقوا عليها نفس اسم قريتهم القديمة، تخليدًا لذكراها[16].

هنا تتجلى الذاكرة الجمعية كقوة ترمز للهوية، فالاسم الذي يُعاد إطلاقه على القرية الجديدة ليس مجرّد اسم، بل هو رغبة في استعادة القرية المفقود من خلال اللغة والحنين، هذا نموذج قوي لتداعي الذاكرة الجماعية لدى أهل القرية.

أما الكلمة الثانية "أزرو" فهي تعني "الحجر"، يبدو أن هذا الاسم يحمل في طياته دلالات عميقة، ففي ظاهره، يشير إلى الحياة من خلال رمز الماء، لكن في باطنه قد يحمل إشارة إلى الفناء، نظرًا لتاريخ النزوح والمعاناة التي عايشها سكانها، "ثالا" قد ترمز إلى مصدر الحياة وفي الوقت نفسه إلى فقدان الوطن القديم، مما يجعل من هذا الاسم رمزًا مزدوجًا للحياة والموت، الانتماء والفقدان. لقد اعتمد الروائي أسلوب الجزء الذي يحيل إلى الكلّ، حيث تعكس معاناة قرية "ثالا" وجهادها في سبيل استعادة الحق الوطني صورة مصغّرة عن جهاد الشّعب الجزائري بأسره، عبّر عن ذكاء وفطنة سكان القرية في مواجهة المستعمر، ما يوازي دهاء وحنكة الجزائريين في جميع أنحاء الوطن، لقد سعى أهل القرية نحو الحريّة بنفس الروح التي تحرّكت بها ثورة الشعب الجزائري، وعملوا سرًا مع المجاهدين لمقاومة الاحتلال والحفاظ على بقائهم.

هذا الصمت الذي يخيّم على أهل القرية لا يعني خضوعهم أو استسلامهم، بل هو تكتيك للصمود، وتظاهُر بالامتثال للمستعمر من أجل البقاء وتسهيل المواجهة، بذلك، تمثل "ثالا" نموذجًا للمقاومة الصامتة بين الصمود والتذمر، بين الرغبة في البقاء وبين التطلع إلى الخلاص.

وفي الأعمال الإبداعية عادةً، يظهر فضاء القرية كمكان للهدوء والسكينة، بينما المدينة فهي رمز للتّمرّد والتّفسّخ الحضاري والاجتماعي، لكن في رواية "الأفيون والعصا"، يقدّم الروائي شحنة دلالية جديدة ومغايرة، فبينما بدأت القرية كمكان مفتوح يحتضن الثوار والثورة ويتحلى أهلها بالشجاعة والبطولة، إذ بالكاتب يكسر أفق التوقّع بتصوير تدمير القرية واستشهاد "علي" أخ بشير أمام أعين أهل القرية، ومنع فرنسا دفن جثمانه في القرية وطالبت بإخلائها قبل تدميرها بالمدافع[17]، ما جعل القرية تتحول من فضاء مفتوح ومفعم بالأمل إلى مكان مغلق لم تعد تتيح لأهلها البقاء، وكأن الكاتب

يعيدنا إلى حياة أهل القرية القديمة، حين أُجبروا على مغادرة قريتهم الأصلية بفعل السياسة الاستعمارية، ليعيشوا تكرارًا لنفس المصير المأساوي.

أما المدينة فصوّرها مولود معمري على أنّها فضاء للراحة والاستقرار ومركزًا للحياة المترفة، وعليه تظهر المدينة كمكان متحضر يجذب المستوطنين ويوفر لهم مظاهر الرفاهية والراحة، على عكس القرية التي ترمز إلى المعاناة والكفاح، يعكس الكاتب هذا البعد الحضري من خلال شخصية الطبيب بشير، الذي عاد إلى الجزائر واستقر في المدينة بعد فترة طويلة قضاها في الخارج.

في البداية، يرى بشير في المدينة مكانًا آمنًا بعيدًا عن الحرب والدمار الذي يعصف بالقرى والمناطق الريفية، إلا أنّه مع الوقت، أدرك أن بقاءه في المدينة يعني الانفصال عن ذاته وأمله في الحرية، وهو ما دفعه لتلبية دعوة المجاهدين والانضمام إليهم في الجبل للدفاع عن الوطن، فهو يقول: "كنت أظن أنني نسيت، لكن القرية نادتني، ورائحة التراب أعادتني إلى نفسي"[18]، هنا الذاكرة لا تُستحضر إراديًا، بل تتفجر من خلال الإحساس: الرائحة، التراب، الاسم. تداعٍ حسي عاطفي، يعيد البطل إلى ذاته الأصلية، ويجعل العودة إلى القرية فعلًا وجوديًا. يعكس هذا التباين بين القرية والمدينة جدلية الانفتاح والانغلاق، فالمدينة، رغم حضارتها واستقرارها الظاهري، لم تكن هي المكان الذي يمكن أن يحتضن طموح بشير وأمله في استعادة حرية بلاده.

3/ رمزية فضاء القرية بين الواقع وتداعي الذاكرة:

يمكن القول إنّ الفضاء القروي في رواية "الأفيون والعصا" هو فضاء تقني ترميزي بالأساس، يهدف من خلاله مولود معمري إلى تقديم صورة عميقة ومشفرة لواقع القرية تحت الاحتلال الفرنسي، هذا الفضاء القروي لا يتمثّل فقط في البنية المادية أو الوصف الإنشائي البسيط، بل يتجاوز ذلك ليصبح رمزًا فلسفيًا يعكس التغيرات الكبرى التي مرّت بها القرية وأهلها خلال فترة الاستعمار.

انهيار القرية في الرواية جاء كمعادل موضوعي لهزيمة أعمق، وهو يمثل انهيارًا جماعيًا يعكس الدمار الذي أحدثه الاستعمار في المجتمع الجزائري بأسره، القرية في هذه الرؤية هي رمز للوطن، وهي مركز للهوية الوطنية والجذور التاريخية، وعندما تتعرض القرية للهدم والتدمير، فإنّ ذلك يعكس التدمير الذي يسعى المستعمر إلى إحداثه في روح الشعب وثقافته.

أراد معمري، من خلال هذا الفضاء، أن يقدم رؤية فلسفية تتعلق بالتغيير، حيث يوضح أن الهزيمة ليست نهاية، بل قد تكون بداية جديدة لمسار مختلف، إذ رغم تدمير القرية، تبقى روح المقاومة قائمة، مما يعكس قدرة الجزائريين على النهوض من تحت الركام ومواصلة النضال من أجل التحرير، برغم المجاعة والبرد والفقر، إلى أن أهل القرية كانت كرامتهم فوق لكل شيء هنا يتجلى تداعي الذاكرة في: الكرامة، الشرف، الكبرياء الجمعي، وكأنما التمسك بالذاكرة، وإن كانت مؤلمة، هو آخر ما بقي من مقاومة الهوية ضد العدم، ويتجلى ذلك في قول بشير "عشنا الجوع والبرد، مشينا حفاة... لكننا دوما راقبنا بغيرة فقرنا وكرامتنا..."[19] هذه الذاكرة هنا أداة مقاومة للمستعمر، رغم المعاناة، يتم التمسك بالكرامة، الماضي المؤلم يُستدعى لا للبكاء عليه، بل لتأكيد البقاء.

من جهة أخرى، المدينة قدّمت نقيضًا واضحًا للقرية، فبينما كانت المدينة فضاءً يوحي بالإغراء والعمل والمستقبل الآمن، إلا أنّها كشفت عن وجه آخر يتمثّل في الخيانة والغدر والانحطاط الأخلاقي، كما ظهر في الحوار بين بشير ومحند، حيث عبّر عن الانحطاط الذي أصاب رجال البلاد تحت تأثير الاستعمار، "في المدينة؟ ماذا تنتظر منهم؟ خانوا أنفسهم قبل أن يخونوا الوطن... يبيعون كل شيء من أجل حفنة نقود... نسوا الأرض والأجداد والشرف."[20] المدينة، هنا، أصبحت رمزًا للسّراب والخيانة، بعكس القرية التي احتفظت بدورها كرمز للنضال والكفاح، حديث محند ليس فقط انتقادًا للواقع، بل هو استدعاء ضمني لذاكرة جيل سابق نقيّ، كانت فيه القيم حاضرة، قبل أن تسحقها المدينة والاستعمار، وهنا تتداخل الذاكرة الأخلاقية بالسياسية، ويتحول الكلام إلى تدفّق وجداني لا منطقي الترتيب، بل صادر عن خيبة وألم.

فاستدعاء صور الماضي — ماضي القرية النقي والمليء بالقيم والأصالة، مقابل الحاضر الفاسد، هذه الصور لا تظهر فقط بوصف عقلاني، بل تتدفق عبر الذاكرة بأسلوب عاطفي وحسي، وكأن الشخصيات تستعيد مشاهد الطفولة والنقاء القروي القديم بشكل تلقائي تحت ضغط الحاضر الكئيب، يتذكرون كيف كانت ثالا، وضوء الصباح على الحجارة، صمت المسالك، صياح الأطفال. لا يزالون يشمّ رائحة الخبز الساخن... كل شيء كان واضحًا، بسيطًا، حقيقيًا، هنا يستعيدون مشاهد الطفولة والزمن الجميل من خلال تداعٍ وجداني، لا مجرد استذكار منظم، فمعمري لا يستعرض أحداثًا ماضية، بل يستحضر إحساسًا: الكرامة وسط الفقر، والعزة وسط الألم، هذه نماذج صريحة لتداعي الذاكرة، حيث الماضي يعود بقوة في لحظة ألم حاضري.

الذاكرة هنا ليست سردًا منظّمًا للماضي، بل تداعيًا عاطفيا تنبعث منه صور الحنين والحسرة، إذن، الرواية قدّمت تناقضًا بين الفضائين: المدينة كرمز للظلم والغدر والانحلال الأخلاقي، والقرية كرمز للبطولة والكفاح والوطنية والذاكرة الجميلة، وهو ما يعمّق البعد الرمزي للمكان في الرواية ويبرز طبيعة الصراع الذي يعيشه أبطالها بين الحنين إلى الماضي والهروب من الحاضر.

الفضاء القروي في رواية "الأفيون والعصا" يتجاوز كونه مجرّد مكان جغرافيّ أو بناء خارجيّ ليصبح عنصرًا حيًّا وفعّالًا في الرّواية، فهو ليس ثابتًا أو محدّدًا بأبعاد ماديّة، بل ينطوي على دلالات عميقة ومتداخلة تربطه بجوانب الحياة الاستعمارية والمقاومة وتداعيات الذاكرة التي تختزل تجارب الحياة والمعاناة الجماعية، بالإضافة إلى الشخصيات والأزمنة المختلفة، فهو ساهم في صياغة الأحداث وتطوّر الشخصيات، حيث يبرز دور بشير وعلي ومحند والمجاهدين وأهل القرية في مواجهة الاستعمار، ويعكس تجاربهم الحياتية ومعاناتهم، وأملهم أن يعود بهم الزمن إلى الوراء أيام الصفاء والبساطة والحياة الجميلة، كما أن تداخل الفضاء مع الزمن الثوري يجعل القرية ليست فقط مسرحًا للأحداث، بل مشاركًا في صنع التاريخ والرؤية العامة للنضال الجزائري.

بفضل هذه التداخلات، يتحوّل الفضاء القروي إلى مساحة تتغيّر باستمرار وتتفاعل مع الأحداث والشخصيات، والذاكرة، لتشارك في بلورة المعاني العميقة التي تحملها الرواية، إنه فضاء يحتاج إلى تحليل مستمر للكشف عن رموزه ودلالاته التي تنطوي على رؤية نقدية عميقة للمجتمع الجزائري قبل وإبان الاستعمار، فهو استعارة رمزية معقدة تعكس عالم

الحلم بحياة هادئة والتحرر من الاستعمار، هذا الفضاء يجمع بين التناقضات، الذاكرة والنسيان، وبين الأمل واليأس، وبين الفوضى والنظام، وهو صورة غير مباشرة للواقع الاجتماعي المضطرب الذي عاشه الجزائريون في تلك الفترة.

من خلال القراءة السطحية، قد يبدو أن الرواية تتناول فقط التغيرات التي طرأت على القرية تحت وطأة الاحتلال، لكن عندما يغوص القارئ في عمق المتن الروائي، يكتشف أن "معمري" يعبر عن أكثر من ذلك، فهو يشير إلى أزمة أعمق، أزمة مجتمع بأكمله يعاني من الاستهتار، الغربة، فقدان الهوية، والتناقضات التي تولد من صراع الاستعمار مع قيم وأخلاق المجتمع الجزائري، بالتالي، فالقرية هي نموذج مصغر للوضع العام في الجزائر، بما في ذلك المعاناة، الأمل، النضال، والفوضى التي تجتاح المجتمع في ظل الاحتلال.

إذن، رواية "الأفيون والعصا" تحكي عن القرية متعدّدة المعاني والدّلالات، متغيّرة، متحرّكة، لا ساكنة ولا ثابتة، واقعيّة حقيقيّة حينًا، وفنيّة خياليّة حينًا آخر، تارة نجدها ممتدّة مفتوحة، وتارة نجدها محدّدة مغلقة، وهي في الحالتين معًا مؤثّرة في ما حولها ومتأثّرة بما حولها، ومعبّرة عن وجودها وتحكي مصير أهلها، فهي تمثّل فضاء البطل والمحرّك الفاعل الذي يرتبط بالزّمن والذاكرة، فيحتوي الحدث، ويحرّك الشّخصيّة، وينهض بالمعنى، ويشكّل الرّؤية، وينتج اللّغة، متحوّلًا بديناميكيّة حركيّة دائبة من مجرّد إطار تزييني للأحداث، أو وعاء عام لها، إلى عنصر مشارك فعّال متعدّد الملامح والظّلال التي تعطي العمل الفنّي خصوصيّته.

فالقرية فضاء متباين الأحداث، متنوّع الظروف، عريض الخطوط، كثير التّفاصيل، متلاحم العلاقات، حميم الصّلات أحيانًا، وأحيانًا أخرى متوتّر الصّلات، متغيّر التّوجهات، موزّع الخبرات، شغل فكر "معمري" فأصبح شغله الشّاغل، وعشقه الدّائب الذي لا ينفكّ عنه، فهو نموذج الثّورة الحقيقيّة.

تمتلك القرية عند "مولود معمري" طابعًا خاصًا، ونكهة مميزة، وذكريات عميقة محفورة في وجدان الذات، وحكايات متأصلة منذ الطفولة وحتى الحاضر، كانت تحتل مكانة كبيرة وتحمل أصالة، إلا أنها الآن باتت عاجزة، وأصبحت السيطرة الاستعمارية هي القوة التي تهيمن عليها وتحكم مصيرها، ويتجلى ذلك بوضوح في مشهد تدمير قرية "ثالا"، حين يخبر الجنود الفرنسيون السكان بوجوب مغادرة القرية تحت تهديد المدافع، كما في المقطع الذي يصف فيه السارد هذه اللحظة المأساوية: صرخ فينا الضابط: عندكم ساعتان فقط لمغادرة القرية، ثم يبدأ القصف. لا مكان لكم هنا بعد الآن[21].

في هذا النموذج، تتحول القرية من ملاذ آمن يحتضن الذكريات والأحلام، إلى فضاء مطارد بالتهديد، يفقد القدرة على حماية أبنائه، ويتحول سكانها من فاعلين في المقاومة إلى لاجئين مطرودين من أرضهم، هذا التحول القاسي في مصير القرية يجسد انهيار البنية القروية التقليدية تحت وطأة الاستعمار، كما أن هذا الحدث يستدعي نكبة أخرى قديمة في ذهن الشخصيات — نكبة "ثالا أوزرو" الأولى، حين أُجبروا على مغادرتها أيضًا، ما يحدث في الحاضر يُفجّر ذاكرة الماضي، ويخلق نوعًا من التكرار التراجيدي، وهو من أبرز مظاهر تداعي الذاكرة الجماعية.

صور مولود معمري الأوضاع البائسة التي وصلت إليها قرية ثالا خلال فترة الاستعمار، مقدماً المفعول على الفاعل، حيث أصبحت القرية مفعولًا به حين دُمرت بالمدافع، بعد أن كانت في البداية فاعلاً تمارس الثورة والتمرد ضد المستعمر، الرواية مكتوبة بحساسية مدهشة ولغة سامية تأسر القارئ منذ الصفحات الأولى، وتجعله يواجه الحقائق

القاسية لانهيار الحياة تحت وطأة الأنظمة الاستعمارية التي سلبت الإنسان حريته وحياته وإنسانيته، وحطمت أحلامه بوعود زائفة، الاستعمار لم يكن يسعى فقط لتدمير الحجر والبشر، بل يسعى أيضًا لمحو الذاكرة الجماعية ومصادرة الحق في الحلم بالمستقبل.

رواية "الأفيون والعصا" شهادة أدبية على الألم والخوف والموت الرمزي الذي يعادل النسيان وضياع الهوية. في هذا السياق، يتماهى مولود معمري مع الراوي، حيث يسرد روايته التي تعالج قضية أساسية تمس الوطن والوطنية، وهي الاستعمار وما يترتب عليه من إحباط سياسي، اجتماعي، وإنساني، هذه الظروف تقف حائلًا أمام تحقيق الذات، مما يدفع بالإنسان العودة إلى الذاكرة كملاذ يخلص به نفسه من الغرق في بحر من الضياع، الخيبة، والخذلان، بكل ما يحمله ذلك من انعكاسات مؤلمة، هنا، يمزج الروائي بين القومية وخيبة الأمل في الوجود بشروطه القاسية، ليقدم لنا رؤية تجمع بين معاناة الفرد وجراح الوطن.

وبهذه الطريقة من التعبير والحبك، يكون الروائي قد تجاوز نمطية السرد التقليدية بلغته المميزة، حيث بنيت الرواية على أسطرة الواقع وتداعي الذاكرة من خلال الإحالات الثقافية، الاجتماعية، والسياسية، كما تم تصوير فضاء القرية الذي كان محور الأحداث من البداية إلى النهاية، حيث قدّم التحولات الكبرى التي شهدتها القرية عبر المزج بين الرمزية والاستعارة، ولم يكتفِ بوصف الشخصيات، بل تعمّق في جوانبها النفسية، كاشفاً عن طموحاتها وآمالها، مما أضفى على الشخصيات مزيدًا من الإنسانية والتعقيد.

جسّدت رواية الأفيون والعصا حالة التشتت التي عصفت بالقرية الجزائرية نتيجة الفتنة التي أشعلها بعض الخائنين الموالين للسلطات الاستعمارية، وعلى رأسهم شخصية "الطيب"، التي تمثل أحد أخطر أنماط الخيانة، فالطيب، الذي قاسى مرارة الجوع والتشرد، اختار الانخراط في صفوف الاستعمار طمعًا في حياة الترف والرفاه[22]، لكنه لم يحمل بندقية العدو، بل مارس سلطته الناعمة داخل النسيج الاجتماعي للقرية، من موقعه كابن من أبنائها، وقد تحوّل إلى أداة للرقابة والتفتيت الداخلي، مجسدًا بذلك أحد أخطر وجوه "الاستعمار الداخلي" الذي يعمل على تفريغ الأرض من مضامينها الأخلاقية والقيمية، من خلال هذه الشخصية، يكشف مولود معمري بعمق عن مدى الاختراق الذي مارسه الاحتلال الفرنسي في الذات الجزائرية، ليس عبر السلاح فقط، بل عبر النفاذ إلى بنية المجتمع وتقويضه من الداخل.

وقد قدّم لنا صورة حية لفضاء القهر، الفتنة، العداء، الاقتتال، والإجرام، والحرب الدموية التي شنّها الاستعمار على الأهالي، هذا كله اندرج ضمن المزاعم الفرنسية الكاذبة التي كانت تروّج للعالم بأنها دخلت الجزائر بهدف إحداث تغييرات سياسية، اجتماعية، واقتصادية، في حين كانت تمارس أقسى أنواع القمع والتدمير، هذه الرواية كادت أن تكون لوحات متتابعة لحوارات سياسية كان يمارسها الاستعمار على الشعب الجزائري.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يمكن تقديم أهم النتائج المتوصل إليها حول الفضاء القروي في رواية "الأفيون والعصا" لمولود معمري على النحو التالي:

1/ جسّد مولود معمري القرية كفضاء للنضال والمقاومة ضد الاستعمار، حيث أصبحت القرية مرآة للتحدي والثورة التي خاضها الشعب الجزائري.

2/ يعكس الفضاء القروي في الرواية واقعاً مأساوياً متشابكاً مع تداعي الذاكرة وأحلام التحرر، فهو فضاء متغير يتراوح بين كونه واقعياً حقيقياً وفضاء فنياً رمزياً.

3/ عبر تصوير تدمير قرية "تالا"، أصبحت القرية ضحية لتأثيرات الاستعمار، مما حولها من فاعل في المقاومة إلى مفعول به خاضع لبطش القوى الاستعمارية.

4/ لعب الفضاء القروي دوراً حيوياً في تشكيل الشخصيات الروائية، حيث عكست تحولات الفضاء مشاعر الشخصيات، مما عمّق أزمة الهوية والانتماء.

5/ رغم الخراب والدمار الذي طال الفضاء القروي، فإن الرواية أظهرت تمسكاً قوياً بالهوية الذاتية والوطنية للشخصيات، مما يعكس روح المقاومة والتحدي في وجه الاستعمار.

إذن رواية "الأفيون والعصا" لمولود معمري تُعد شهادة فنية وأدبية على نضال الشعب الجزائري، حيث استخدم الروائي الفضاء القروي ليعبر عن تحولات الوطن وهمومه، وليربط بين الماضي والذاكرة والواقع الصعب، مؤكداً على أصالة الهوية الوطنية وحنين الإنسان إلى الجذور رغم قسوة الظروف.

هوامش:

[1] (ابن منظور) أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري، 1994، لسان العرب، مج3، ط3، بيروت، لبنان، دار صادر، ص389. مادة (فضا)

[2] أحمد حسن الزيات، 1989، المعجم الوسيط، ط2، (د.ب)، دار الدعوة مؤسسة ثقافية للتأليف والنشر، ص301.

[3] جبران مسعود، 1992، الرائد معجم لغوي عصري، ط7، بيروت، دار العلم للملايين، ص603.

[4] ينظر، حسن بحراوي، 2009، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط2، لبنان، بيروت، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ص25.

[5] نظر، المرجع نفسه، ص26.

[6] سيزا أحمد قاسم، 1984، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، (د.ط)، (د.ب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص74.

[7] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص31.

[8] حميد الحميداني، 1991، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ص72.

[9] أحمد طاهر حسين، 1987، "المكان في النحو العربي"، مجلة عيون المقالات، ع8، ص5.

[9] MOULOUD MAMMERI, 1965, Paris, L' opium et le bâton, èd Plon Plon, p14.

[10] الرواية، ص120.

[11] الرواية، 116.

[12] الرواية، ص178.

[13] ينظر، الرواية، ص272.

[14] ينظر، الرواية، ص141.

[15] ينظر، الرواية، ص79.

[16] ينظر، الرواية، ص88.
[17] ينظر، الرواية، ص367.
[18] الرواية، ص79.
[19] الرواية، ص107.
[20] الرواية، ص141.
[21] ينظر، الرواية، ص367.
[22] ينظر، الرواية، ص98-99.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. MOULOUD MAMMERI, 1965, Paris, L' opium et le bâton, èd Plon Plon.
2. (ابن منظور) أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري، 1994، لسان العرب، مج3، ط3، بيروت، لبنان، دار صادر.
3. أحمد حسن الزيات، 1989، المعجم الوسيط، ط2، (د.ب)، دار الدعوة مؤسسة ثقافية للتأليف والنشر.
4. جبران مسعود، 1992، الرائد معجم لغوي عصري، ط7، بيروت، دار العلم للملايين.
5. حسن بحراوي، 2009، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط2، لبنان، بيروت، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء.
6. حميد الحميداني، 1991، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع.
7. سيزا أحمد قاسم، 1984، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، (د.ط)، (د.ب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المجلات:

8. أحمد طاهر حسين، 1987، "المكان في النحو العربي"، مجلة عيون المقالات، ع8.